وزارة الثقافة

في سبيلك يا وطن

تأليف: الأخوان شفيق ترزي ووديع ترزي

مركز عبد المحسن القطان للتراث الفلسطيني

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

في سبيلِكَ يا وَطَن

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: شفيق ترزي ووديع ترزي

اسم الكتاب: في سبيلك يا وطن

الطبعة الأولى: ١٩٣٤ عن المطبعة العصرية في القدس

الطبعة الثانية: ٢٠٢٢

الإشراف العام: عبد السلام عطاري

مراجعة وتدقيق: رشيد عِناية - نور عرفات

لوحة الغلاف للفنان: خليل حلبي

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين

www.moc.pna.ps

في سبيلِكَ يا وَطَن

مقدِّمة

نقدِّم إلى مواطنينا روايتنا "في سبيلك يا وطن" وهي تتناول بالبحث والنَّقد:

الوطنيّة الرّخيصة

عاقبة السمسرة والبيع للأجانب

التَّفرنُج المزيّف

تسخير الضَّمائر في سبيل المنفعة الماديّة

صندوق الأمّة

وما يجب أن تكون عليه الوطنيّة الصَّادقة وخلاف ذلك ممّا يبهج وممّا يزعج من حياتنا الأخلاقيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة؛ قاصدين من ذلك العِظَة للحاضر والذِّكرى للتَّاريخ.

المؤلِّفان

غزَّة في ٣٠ تمُّوز، سنة ١٩٣٤

أشخاص الرَواية

أبو حلمي – وجيه مثرِ

حلمي – ابنه

صبحي – ابن أخته

حسن – خادمه

رجاء – صديق لحلمي ولصبحي

الشيخ علي والشيخ محمد – مختارا قرية المساكين

فلاح أوّل

فلَّاح ثانٍ

إسحق – مشتري أراضي

قروية – طفل قروي – خادم

هند – كاتبة في مكتب أبي حلمي وحبيبة حلمي

سعاد – حبيبة صبحي

وداد – رفيقة لهند وسعاد

مندوب لجنة صندوق الأمّة

مراسل جريدة

الأدوار	السّادة
أبو حلمي	فهمي نحّاس
حلمي	جورج سابا
صبحي	إميل خيّاط
حسن	سميح فرح
رجاء	عيسى جغب
الشيخ علي	سليم ضاهر
الشيخ محمد	توفيق دويك
فلاح	يوسف بحّوث
إسحق	إبراهيم طقطق
قروية	ميشيل نزال
طفل قروي	رجا العيسى

مساعد	نور الدين عبد الهادي
هند	سعيد العيسى
سعاد	فؤاد غاوي
وداد	فؤاد قعوار
مندوب لجنة صندوق الأمة	فرحات زيادة
مراسل جريدة	حنا حداد
مدير المسرح	فهمي جيوسي

الفصل الأول

مكتب أبي حلمي

على المسرح منضدتان إحداهما في يمينه لصاحب المكتب عليها أدوات كتابية، والأخرى في يساره لكاتبة أبي حلمي عليها كتب وأوراق، وآلة كاتبة على جانبها الأيسر، وخطابات غير مفضوضة على الجانب الأيمن، وتحتها سلة مهملات ووردة حمراء بين الكتب والآلة الكاتبة. وبين المنضدتين على الحائط الخلفي رف مملوء كتبًا، وفي الزاوية اليمني (علاقة) للمعاطف والقبعات. وللمسرح بابان أحدهما في الجانب الأيمن والآخر في الجانب الأيسر، وهذا يصل المكتب ببيت أبي حلمي.

المشهد الأول

(يُرفَعُ الستار عن الخادم حسن وهو يرتب المكان وينظفه)

هند: "تدخل من الباب الأيمن فترى "حسنًا" وهو ينظف صورة على الحائط الأيسر"

حسن، صباح الخير "تعلق قبعتها"

حسن: أسعد الله صباحك يا سيدتي إن شاء الله تكونين هانئة سعيدة.

هند: "وهي تتقدم نحو منضدتها وتبتدئ بفض الرسائل" بلى، وكيف لا أكون كذلك وقد أصبحت الآن قادرة على إعالة والدتي والقيام بأود معيشتها. مسكينة أمي فقد جاهدت بعد موت والدي جهادًا مستمرًا كما تعرف يا حسن، وكل ذلك في سبيل توفير أسباب الرفاهية لي. فكيف لا أشعر بالحبور يمازج نفسي وقد أرحتها من العناء، سوى عناء التفكير بي.

حسن: بارك الله فيك من فتاة تقدر واجب البنوة نحو أم اكتهلت في خدمتها، فقد عرفتك حينما كنت في خدمة والدك طفلة نادية الجبين كريمة الأرومة، وكم أنا مغتبط بوجودي مستخدمًا في المكان الذي تعملين فيه.

هند: إن من دواعي سروري أن أرى من كان أمينًا لوالدي قريبًا من ابنته.

حسن: ولسوف تجده أطوع لها من بنانها، حريصًا على أسرارها.

هند: ليت كل الرجال على شاكلتك، لهم حسن نيتك وصفاء سريرتك "تسير نحو الآلة الكاتبة ولا تكاد تجلس حتى ترى أمامها وردة حمراء، بينما حسن يسرق النظر اليها – تدهش ثم بيدها" لله ما أجملها! "تشمها" رائحتها زكية. "تلتفت إلى حسن" ومن أتاني بها؟

حسن: هل نسيت الرسالة التي أودعتنيها البارحة؟

هند: "تتذكر" لم أنسها.

حسن: لقد أوصلتها والوردة هي الجواب.

هند: إنني لم انتظر جواباً، إذن، الجواب، وردة حمراء "تتساءل بتهكم" أوليست الزهرة الحمراء هي رمز الحب؟

حسن: "بتهكم" إن هذا الأمر لم نعرفه في حداثتنا يا سيدتي.

هند: "ترمي الزهرة إلى الأرض" ليتني عشت في زمن حداثتكم يا حسن، أجل، لا لشيء، بل لأتحاشى تطفل الشاب المتفرنج صاحب العلم الناقص الذي يكثر أمثاله في بلادنا. أعاذها الله من شرهم.

حسن: "يلتقط الزهرة ويضعها على منضدة أبي حلمي" هوني عليك يا سيدتي فليس في الأمر ما يكدر.

هند: ليس في الكون ما يكدر أكثر من تطفل شاب على فتاة لا تميل إليه. لقد أعلمتك يا حسن وقد ائتمنتك على سري وهو أني لم أعد أحب صبحي بعد أن خبرته وأنا على يقين من أنه لا يحبني، وما تودده هذا إلا تودد مزيف.

حسن: ولكن كثيراً ما أراه يظهر الولاء لك والتفاني في خدمتك.

هند: "لنفسها" وكثيراً ما أراد الإيقاع بي، "إلى حسن" هو يتظاهر بالحب لاعتقاده أن الحب من مقتضيات العصر. يتأنق في ملبسه كي يستغوي الفتيات اللواتي يؤخذن بالمظهر، ويقتني سيارة خصوصية ... آه حسن يكفي التحدث عنه فهو غير جدير باهتمامنا.

حسن: إني أدهش لما أسمع يا سيدتي، فأنا أعرفه بشوشًا حلو الحديث.

هند: إن الله يبارك بسطاء القلوب، حسن! أنت معواني الوحيد فكن عند حسن ظني فيك ولا تطلع أحدًا على ما جرى لا سيما ...

حسن: "يقاطعها" اطمئني يا سيدتي فلن أطلع حلمي ابن سيدي على شيء من هذا. بارك الله فيك يا حلمي ولكن ...

هند: "تقاطعه" دع عنك الوسواس يا حسن فشتان ما بين الاثنين

"وهي تتهيأ للعمل" حلمي ،... هو درة في تاج الشباب.

حسن: "يسمع طرقا على الباب" لا شك أن الطارق هو صبحي

فقد أعلمني أنه سوف يزورك هنا قبل ميعاد مجيء

سيدي خاله "يحمل بعض الكتب ليخرجها معه ويتأمل

صبحي وهو داخل من الباب الأيمن"

هند: عونًا يا الله "وتبتدئ العمل"

المشهد الثاني

(يدخل صبحي في منظر أنيق للغاية)

صبحي: "مبتسمًا" Bon jour Mademoiselle[1]

هند: "وهي تشتغل" صباح الخير

صبحي: لقد بكرت في النهوض من فراشي اليوم على خلاف عادتي.

هند: "بلا اكتراث" ولماذا؟

صبحي: لسبب أنت تعرفينه. "يلحظ على هند التكدر فيغير مجرى الحديث" ألا تحبين هذه البدلة الجديدة. لقد خاطها لي أقدر خياط في تل أبيب.

"تنظر إليه هند شذراً ولا تنبس ببنت شفة"

---

[1] صباح الخير يا آنسة.

صبحي: "يتجه نحو منضدة خاله ليضع قبعته فيجد الوردة ملقاة بغير اهتمام وممعوسة فيأخذها بيده" عجبًا! لقد أملت أن أراك متحلية بها.

هند: "بتهكم" وما الذي حملك على هذا الأمل؟

صبحي: لا شيء ... سوى ما كان بيننا.

هند: "تقف محتدة" لقد أفهمتك في رسالتي إليك حقيقة شعوري نحوك فلذلك أرجو منك أن تضع حدًّا لهذه المداعبات السمجة.

صبحي: أوتعنين حقًا ما ورد فيها؟!

هند: "تتراجع وراء كرسيها" ما هذا الاستخفاف بي أو تظنني قاصرة إلى حد أنني لا أستطيع أن أحكم عقلي فيما هو خير لي؟!

صبحي: لا ... إنما للسيدات وحدهن الحق في تغير أفكارهن.

هند: إن المرأة النبيلة الخلق لأجلّ شأنًا من أن يصدق فيها رأيك.

صبحي: لم أقصد النيل من كرامة المرأة، فأنا أقدسها "بتريث" من أجلك.

هند: "وهي تجلس" وهل (يتجمرك) الكلام؟ بحقك دعني وشأني.

صبحي: "يتودد ويجلس على حافة المنضدة فتبعده عنها هند بإزاحة بعض الكتب دفعات متوالية فيتراجع رويدًا رويدًا حتى يرغم على النهوض عند انتهاء قوله" صدقيني يا هند إنني أتفانى في سبيل حبك؛ لقد أسرعت إلى هنا في سياراتي كي أراك وأستعطفك، لقد أصبحت سيارتي قديمة ولذلك أفكر في بيعها وشراء بيوك (Buick) سأفعل هذا إذا ما نجح خالي في صفقة ينويها فأقبض استحقاقي من إرث والدتي.

هند: وهل تظنني ممن تغرهن هذه المظاهر؛ لقد أعلمتك أنني لا أميل إليك.

صبحي: لا أخالك إلا مازحة فيما تقولين فخففي من حدتك ودعي المياه تعود إلى مجاريها.

هند: وكيف تعود المياه إلى مجاريها إذا نضب النبع

صبحي: "مقتربًا منها ومتوددًا" ألا ترافقيني إلى دانس (Dance) في هذا المساء؟ بالله عليك ألَّا ترفضي طلبي.

هند: "تنهض" من؟ أنا؟ ومتى رافقتك إلى مرقص؟ ما هذا التصرف البذيء؟ وكأنك تفرض عليّ رغبتك فرضًا.

صبحي: ولماذا يبلغ التأثر منك إلى هذا الحد؟ إنك لا تزالين رجعية في آرائك.

هند: إنني أفخر برجعيتي في هذا الأمر. اتركني بالله ويمم تل أبيب حيث يصفو لك السرور ودعني أنجز أعمالي المتراكمة التي أتحصل بها معيشتي لئلا تسبب لي تأنيبَا من خالك ... "تسمع وقع أقدام" هو ذا خالك قادم، اذهب.

صبحي: فكري في الأمر فأنا أحبك "وهو خارج وعلى غير مسمع منها" إن غيرك كثيرات

المشهد الثَّالث

(يدخل أبو حلمي من الباب الأيسر متجها نحو منضدته ومعه مندوب صندوق الأمة)

أبو حلمي: إنه لمشروع ذو فائدة عظيمة

المندوب: لا شك أنه سيكون كذلك إذا تمكنا من وضعه موضع التنفيذ إذ نحتاج فيه إلى معاضدة أغنيائنا وذوي اليسار فينا؛ ولهذا السبب عينه انتدبتني اللجنة لأن أحادثكم في الأمر.

أبو حلمي: إني معكم قلبًا وقالبًا فسيروا على بركة الله. فمشروع صندوق الأمة هو خير ما تقوم به بلادنا اليوم وأفضل من أي فكرة تقدمته منذ أول عهد الاحتلال.

المندوب: لا ريب في أن لكل نهضة أداتين؛ أداة هدم وأداة بناء، ولقد كان للأولى النصيب الأوفر من حركتنا الوطنية لكنها لم تكن الدواء الناجع الذي نحتاج إليه.

أبو حلمي: هو كذلك. فلقد صرفنا جهودنا كتابة وخطابة في الهدم وعدم الاستحسان. وصناعة الكلام هذه لا ترفع ضيمًا ولا تشفي غليلًا.

المندوب: وما يؤسف عليه أننا لم نفطن لاستعمال أداة البناء إلا بعد أن تسرب الكثير من أجود ما أورثنا إياه الأجداد إلى الأيدي غير المرغوب فيها.

أبو حلمي: إن هذا المشروع، وإن كان الأمل في نجاحه ضعيفا، محاولة طيبة تشكرون عليها، وإن شاء الله تكونون أول من يرسم طريق الخير لهذه البلاد، وعليه فأنا أكتتب بعشرين جنيهًا تبرعًا وعندما توزع أسهم الشركة

فسأساهم بما أستطيعه.

(يجلس إلى منضدته يكتب شكا بذلك)

المندوب: بارك الله فيك من وطني غيور ساهر على مصلحة بلاده، وإني على يقين من أنك ستكون من أقوى دعائم هذا المشروع.

أبو حلمي: "يقف مقدمًا الشك" إنني إن ساهمت بهذا المشروع فإنما أساهم إجابة لداعي الواجب الوطني، والواجب لا يتطلب شكر.

المندوب: "يتناول الشك ويعطيه وصلا به" هكذا يكون الإخلاص، أبقاك الله ذخرًا لهذا الوطن. والآن أستأذنك في الانصراف.

(يخرج من الباب الأيمن)

أبو حلمي: رافقتك السلامة (يشيعه إلى الباب). (لنفسه بعد إغلاق الباب) إنني لا أتمالك عن الضحك في سري لأن هذا المشروع لن يتعدى دور الكلام والبحث، كالمشاريع التي تقدمته، ومن يعش يره. "ويلتفت إلى هند" هل أتممت طبع الرسائل التي أمليتها عليك وكلفتك إرسالها إلى أصحابها؟

هند: لقد تم طبع ما يزيد على النصف وإرساله.

أبو حلمي: ما هذا التباطؤ يا هند. لقد عرفت في صديقي المرحوم والدك السرعة في إنجاز الأعمال.

هند: معذرة يا سيدي

أبو حلمي: إنا لله وأنا إليه راجعون. "وهو يجلس" لقد كنت معولًا على مقابلة أصحاب هذه الرسائل دفعة واحدة بعد ظهر

هذا اليوم لأنهي معهم معاملة البيع والتنازل عما يملكون من أراضي قرية المساكين التي أملك قسمًا وافرًا من أراضيها، وأخشى أن يفسد هذا التأخير عليّ تدبيري فيتداخل في السوق مفسد وتبقى أسر كثيرة على ما هي عليه من بؤس وشقاء. إنني أبغي بالإسراع إنقاذهم من براثن الفقر ومخالب الجوع. ألا ترين الخسارة التي يسببها هذا التأخير مع أن الوقت كان كافيًا لديك لإنجاز المهمة قبل هذا الصباح.

هند: عفوك يا مولاي.

أبو حلمي: ليست هذه أول مرة تهملين فيها إنجاز ما يطلب منك عمله في الوقت المعين فقد تكرر هذا الإهمال في العهد الأخير.

هند: "تقف مستعطفة" سيدي

أبو حلمي: لقد كنت من المعتقدين أن المرأة لا تصلح لغير البيت وتربية الأطفال ولكنني كدت أغير هذا الاعتقاد لما رأيته منك من المثابرة والإتقان وحسن تصريف الأمور ... أما الآن ...

هند: "تقاطعه وهي تبكي" بحقك يا سيدي ألَّا تصدر حكما على بنات جنسي لمجرد خطيئة اقترفتها لغير عجز أو إهمال.

أبو حلمي: ما الذي سببها إذن "يقف بينما تستمر هند في البكاء ولا تجيب" أجيبي، دعي البكاء جانبًا ولا تشهري وفي وجهي سلاح الدموع. "يصمت قليلًا" أجل لم أكن مخطئًا فللعاطفة سيطرة أعظم من سيطرة العقل على المرأة حتى إنها لتصور لها أن المستحيل ممكن ... إني أعرف كل شيء وأنصحك ألا تبقي خاضعة لسلطان عاطفتك لأن هذا الخضوع لا يأتي بالنتيجة المتوخاة.

هند: أناشدك صداقتك لأبي أن ترحم ضعفي وتصفح عن زلتي.

أبو حلمي: أجل لقد كان والدك صديقًا حميمًا لي وهذا هو السبب الذي يحدوني أن أعاملك معاملة ابنة لا معاملة مستخدمة. فنصيحتي إليك أن تطرحي ما يشغل أفكارك وخيالاتك غير المجدية جانبًا وأن تعودي إلى سابق نشاطك فلا تؤخري عمل يومك إلى الغد.

إنني الآن خارج لقضاء مهمة وأملي ألا أعود إلا وقد أنهيت ما كلفتك عمله. "يخرج".

المشهد الرابع

(هند تناجي نفسها)

هند: "ترفع عينيها إلى السماء" إلهي لقد ضقت ذرعًا، أنت ملاذي

"وهي تجلس" أفلا تكفكف دموع فتاة تشقى وتتألم.

"تعود كأنها تريد أن تشتغل ثم تنتفض كمن عاوده شيء

في ذاكرته" ماذا عنى سيدي بذكره للعاطفة، ولماذا قال إن

ما يشغل أفكاري لا يجديني. "تفكر" وهل من الممكن أنه

قد علم بما بيني وبين ابنه؟ يا لسوء طالعي! "تضع رأسها

بين يديها ثم تنتفض كمن أفاق من غفلة" مسكينة أنت

يا فتاة اليوم فقد وقعت بين شاب متفرنج لم يتحلَّ من

مدينة الغرب بغير القشور وشيخ رجعي يريد أن يمتد

سلطانه إلى ميول نفسك فيكبتها، إيه يا سيدي، هل في

مقدوري أن أتجرد عن عاطفتي؟ حلمي إنك لمثال الشاب

الصالح. لم يجرفك تيار الغرب ولم تبهرك أنواره الخداعة

فلقد أخذت منه ما زان جوهرك العربي وزاده قوة

وصلابة، فيك وجدت ضالتي فأنت بطل أحلامي ومعقد

آمالي. "تسمع وقع خطى فتعود إلى عملها"

المشهد الخامس

(يدخل حلمي)

حلمي: "يقول وهو داخل" لقد وفرت على البلاد اليوم مبلغًا لا يستهان به

هند: حلمي

حلمي: أجل يا هند فقد وفرت على البلاد مبلغًا لا يقل عن مئتي جنيه عدا مصاريف أخرى متفرقة "يقترب منها" أتعرفين كيف؟ لقد بعت سيارتي الخصوصية ولن أشتري غيرها بعد اليوم. أليست الدراهم التي تدفع ثمنًا خصوصًا للسيارات التي تخدم غرضًا كماليًا هي دراهم متسربة إلى أيدي غيرنا لا نفع منها للبلاد، وعدا الثمن فهنالك البنزين والزيت وخلافهما من احتياجاتها مما نستورده من الخارج فلا نتعوض من أثمانها شيئًا ونحن كما تعلمين لا نزال نستورد

من الخارج أكثر مما نصدر، وهي حال أقل ما يقال فيها إنها تقودنا إلى الإفلاس المادي. أفلا يجدر بنا أن نستغني على الأقل عن الأشياء الكمالية المستوردة ونستعمل ما يصرف عليها في سبيل توفير أسباب الإنتاج. ألا توافقينني على ما ذهبت إليه؟

"تبقى هند صامته" ما بالك لا تجيبين، وهل أنا مخطئ في عملي ورأيي؟

هند: لا يخالفك في رأيك إلا كل مكابر ضعيف الوطنية.

حلمي: ولماذا إذن تترددين في استحسان عملي؟

هند: بالله عليك أن تتركني وحدي.

حلمي: إنما يعز عليّ أن أذهب دون أن أعرف سبب هذا الوجوم البادي على محياك ولم أتعود أن أراك على هذه الحال.

هند: "لنفسها" آه ما أتعسني!

حلمي: "يقترب منها" أنت تعسة؟! ولماذا؟! ومن سبب التعاسة لك؟

هند: أنت!

حلمي: أنا؟! أنا السبب؟!

هند: أجل!

حلمي: وكيف ذلك؟! بحقك أوضحي.

هند: أمرتُ أن أكبت عاطفتي نحوك.

حلمي: ومن أمرك بذلك؟

هند: والدك!

حلمي: والدي؟! متى؟ وأين؟ وكيف؟

هند: فهمت من حديثه إليّ في هذا الصباح أن الأفضل لي ألا استسلم لسلطان العاطفة وألا اعتصم بحبل الأمل فهو واهٍ خصوصًا فيما يشغل أفكاري الآن.

حلمي: غريب هذا الأمر وكيف علم والدي بما بيننا؟

هند: لا أدري

حلمي: "بعد تفكير" هو، هو، فقد رأيته في هذا الصباح عند والدي.

هند: ومن هو؟

حلمي: هو صبحي يا هند!

هند: "تقف" وهل هذا ممكن؟!

حلمي: "يبتسم ابتسامة ازدراء" لا يصعب هذا على أمثال صبحي ولكن طاش سهمه في النار القدسية التي جعلها الله في قلوب عباده، ولن يقوى على إطفائها الإنسان. أعطني يدك يا هند "يمسك يدها" إنني أعاهدك على الوفاء لك.

(يُسدَلُ السِّتار)

الفصل الثاني

(غرفة الاستقبال في بيت سعاد)

على المسرح كرسي كبير إلى الجانب الأيسر ومقعد إلى الجانب الأيمن، وكرسيان آخران في وسطه، وفونوغراف على قاعدته بجانب المقعد من الجهة الداخلية، ومرآة على الحائط الخلفي من الجهة اليسرى، وعلاقة قبعات من الجهة اليمنى، وطاولة صغيرة عليها (مزهرية) قريبة من المرآة والمسرح بالفرش الثمين ليدل على ثراء أصحاب البيت ورفاهيتهم.

وللمسرح ثلاثة أبواب أحدها في الجانب الأيسر، والآخران في الجانب الأيمن يصلانه بالبيت، إحداهما أمامي والآخر خلفي.

المشهد الأول

(يُرفَعُ السِّتار وسعاد تنظم المكان وتنسق زهورًا فتدخل عليها وداد)

سعاد: أهلًا وسهلًا (Chérie)[٢] وداد.

وداد: أهلًا وسهلًا بالمرحب، وهل أنا أول من يأتي من المدعوين؟

سعاد: لقد أزف الميعاد، وعما قريب يتوافدون، إذ بيوتهم قريبة من بيتنا.

وداد: "وهي تتأمل فستان رفيقتها" آه ما أجمل فستانك! فهو متلائم مع قوامك ملاءمة تامة.

وداد: حقًا إن المخازن ملأى بالأصناف الكثيرة ولكن كم يتحير الإنسان في انتقاء النوع الذي يريد.

سعاد: هو كما تقولين، ولكن تعرفين، إن هناك أصنافًا خصوصية

---

[٢] عزيزتي.

أحبها وأفضلها على غيرها ولما لم أجد ما يلائم ذوقي فقد أرسلت إلى صديقتي في باريس فأرسلته إلي.

وداد: حسنًا فعلت، فباريس "أم المودة".

سعاد: لا بد أن تكون باريس جنة "وهي تقول هذا تدور حول نفسها وتجلس على المقعد ثم تجلس وداد"

وداد: ألم تسمعي صبحي يصفها. فقد نعتها بفردوس الشباب.

سعاد: تتنهد "Oh Subhi is a dear"[٣]

وداد: وهل هو من المدعوين لهذه الحفلة.

سعاد: بالطبع، فسهرتنا لا تكمل بدونه.

وداد: هل سمعت ما تلوكه ألسنة الناس عن علاقة صبحي بهند؟

سعاد: وهل تعتقدين تمام الاعتقاد أن صبحي يحبها؟!

وداد: هذا ما يشاع، ويقال إنها رفضته، ويغلب على ظني أنها تحب

---

[٣] أوه، عزيزي صبحي.

حلمي وحلمي يحبها.

سعاد: إه (دخلك) ومن هي حتى يحبها صبحي؟ فصبحي شاب متعلم متفرنج، لاحظي لباسه كيف يتأنق به، لاحظي كيف يمزج العربية بعبارات فرنسية أو إنجليزية، إنه حقًا جميل كامل.

وداد: إني أشفق على هند فهي الرجعية بأكمل معانيها. سمعتها مرة تسخر منا لأننا نستعمل مختلف المساحيق.

سعاد: إنها فتاة مغفلة. فهل يتم الجمال بغير الحمرة والبودرة "تسير إلى الناحية الأخرى" تأملي نوع الفساتين التي ترتديها فكلها بسيطة وهي تعتقد أنه لا يحق للفتيات شراء أكثر من ثلاث فساتين في السنة/ هذا لعمري منتهى السخافة "تقهقه".

وداد: إن فستانا كل شهر لهو الاعتدال.

سعاد: "وهي تنظر إلى المرآة" وهل للفتاة غير ملبسها؟!

(يُطرَق الباب الأيسر)

سعاد: هذا لا شك صبحي "تركض للجهة المقابلة للباب بينما وداد تنظر للمرآة ثم تسرع نحو سعاد".

المشهد الثاني

(يدخل صبحي ورجاء)

صبحي: "مخاطبًا رجاء" تسألني يا رجاء عن الأنوار المنبعثة من هذا المكان ألا ترى الهلال قد صار بدرًا "مشيرًا إلى سعاد" والزهرة تبوأت مكانها من قبة الفضاء "مشيرًا إلى وداد. سعاد ووداد تضحكان ويتصافح الجميع ثم يرى صبحي باقة الزهور فيتجه نحوها ويشمها"

صبحي: "مخاطبًا سعاد" إن زهورك بديعة جدًا فكأنك أتيت بها من جنائن لكسمبرج أو حدائق تويلري!

رجاء: لا تؤاخذاه فصبحي يحلم دائمًا بباريس.

صبحي: Paris est très belle[٤] "ويجلس على الكرسي الكبير فيجلس الجميع ثم يشعل سيجاره"

وداد: لا شك في ذلك، فالكل يخبرنا أنها روضة فيحاء.

---

[٤] باريس جميلة حقًّا.

سعاد: لا بد أن تكون جنة النساء.

رجاء: الكل يجمع على هذا الرأي ما عدا حلمي فهو لا يعترف ببهاء باريس بل قد يشك في جمال أهلها.

صبحي: إنه شاب غريب الأطوار.

وداد: إن حلمي بين الرجال كهند بين النساء فلا تراه يهتم إلا بالأمور التي يسميها عالية رفيعة، أما الملبس وخلافه فأمور تافهة.

صبحي: عندما كنا في طريقنا إلى الجامعة في لندن قضينا يومًا في باريس فآثر الذهاب إلى اللوفر على الذهاب إلى أحد الأندية هناك.

رجاء: أظنني لو كنت معكما لآثرت مرافقة حلمي.

سعاد: ماذا؟! أتفضل رؤية (الانتيكة) على مشاهدة رقصة في أندية باريس.

وداد: بحقكم ما الذي ترونه في المتاحف؟ هذا صنم من رخام

وهناك تمثال مقطوع الذراع، وتلك قطعة نقود قديمة قد براها الصدأ.

صبحي: لا، إنهم يتمتعون برؤية قطع الفخار "يقهقه الكل ما عدا رجاء".

رجاء: فضلًا عن هذه القطع تروي لك قصة التاريخ الإنساني فللناس أذواق.

صبحي: ولكن يجب أن تتكيف هذه الأذواق حسب (المودة) آه كم سئمت عشرتي لحلمي ونحن في لندن. لم نقدر أن نعيش معًا لتباين أذواقنا فافترقنا.

سعاد: عجبًا! إنه لا يظهر على حلمي أنه كان في بلاد أجنبية؛ وتراه إذا تكلم لا يستعمل سوى اللغة العربية الخالصة و"يتنحى" "يضحكون"

وداد: وتراه دائمًا مأخوذًا بالمسائل الوطنية والسياسية.

رجاء: وهو يهتم بالمسائل الاجتماعية أيضًا.

صبحي: وفي لندن أيضًا كنت تراه في المساء يذهب لسماع محاضرة أو يشهد محاورة في البرلمان، أو يقرأ كتابًا في الفلسفة، أما الأوبرا فلم يكترث لها وكثيراً ما كان يقول عند ذكر (الجاز) آه على دور لعبد الوهاب. اسمعوا مثلًا "ويضع على الفونوغراف دوراً متنوع الموسيقى ثم يرقص راجعًا إلى كرسيه"

سعاد: "بعد انتهاء الدور" أولم ترق له أمثال هذه؟

صبحي: كان يصم أذنيه عند سماعها ويفضل عليها أدوار أم كلثوم.

وداد: يا للغرابة!

(يقرع الباب الأيسر فتنظر سعاد إلى الخارج)

سعاد: إنه حلمي.

المشهد الثالث

(يدخل حلمي)

حلمي: السلام عليكم

رجاء: وعليكم السلام

الباقون: أهلًا وسهلًا

حلمي: "يصافح سعاد ووداد وبعد أن يحيل نظره في الحاضرين.

يقول وهو يجلس" أين هند؟ ألم تأت بعد؟

سعاد: كلا وقد علمت أنها متأخرة في مكتب أبيك، ألم ترها هناك

حلمي: لم أكن في البيت. بل أتيت توًا من اجتماع إحدى اللجان.

وداد: أراك دائمًا تقضي أوقاتك وتشغل أفكارك بهذه الأمور فهل

حقًا تروقك.

حلمي: "مبتسمًا" كيف لا تروقني وكلها تفكر في إقالة بلادنا

المحبوبة من عثرتها وتحريرها من الأغلال التي ترسف بها.

صبحي: "متهكمًا" ولعلك بعت سيارتك لتشتري استقلالها بما قبضته

ثمنًا لها.

حلمي: للمرء يا صبحي أن يعمل على قدر استطاعته؛ فلو قام كل فرد من أفراد الأمة التعسة بعمل يسير لإنهاض بلاده كالاستغناء عن بعض كماليات الحياة المستوردة من الخارج مثلًا لكان مجموع هذه الأعمال التي تظهر منفردة تافهة صغيرة قوة لا يستهان بها.

رجاء: بالصواب نطقت بارك الله فيك من شهم.

سعاد: وهل بعت سيارتك حقًا. إنك بعملك هذا تحرم نفسك (شم الهواء).

حلمي: أستطيع أن أستنشق الهواء النقي مشيًا على الأقدام بدلًا من استنشاقه ممزوجًا برائحة البنزين، ويا ليتكم تفعلون ما فعلت.

صبحي: أعاذنا الله من شر ما فعلت.

وداد وسعاد: العوذ بالله

حلمي: يخيل إليّ أنكم تعتقدون أنني ما عملت هذا إلا بخلًا لا عن مبدأ فثقوا أنكم مخطئون فيما تذهبون إليه، فقد ساهمت بثمن السيارة في شركة إنقاذ أراضي الوطن.

صبحي: يا للسخافة، أوتسلم دراهمك للمتزعمين الذين جمعوا آلاف الجنيهات في الماضي فذهبت أدراج الرياح دون أن يقدموا للأمة عنها حسابًا. إنك مسكين يا ابن الخال.

رجاء: لربما كنت مصيبًا يا صبحي في اعتقادك بما جمع في الماضي ولكن أراني مرتاحًا لفكرة مشروع هذه الشركة ومطمئنًا لنجاحها.

حلمي: اذهب في ظنك كما تشاء يا صبحي فأنت بعيد عن كل ما

يجري في بلادنا وإن كنت فيها. إن أجود أراضينا آخذة في التسرب إلى أيدي الغرباء في مقابل أموال جمعوها غرشًا غرشًا، وهبات من مثريهم ومن يعطفون على حركتهم، هذه الأراضي التي امتزج ترابها بدماء السلف وهي وطننا، وهل للمرء كرامة واعتزاز بغير وطن. وماذا تنفعك دراهمك مهما وفر مقدارها إن كنت طريدًا شريدًا. كفانا سباتًا وغفلة يا قوم.

(سعاد ووداد تخرجان)

صبحي: دع عنك يا حلمي هذا الأوهام فليس بيننا زعيم نثق به.

رجاء: لا شك أنه ينقصنا تبادل الثقة فلم يعودونا زعماؤنا على التضحية.

حلمي: كفانا رجوعًا إلى الماضي ففي النظر إلى الماضي مصيبتنا، لنثق

بالحاضر ولنبتدئ العمل، كلٌّ في دائرة استطاعته بإخلاص وثبات، فنأمن ما يخبئه لنا الزمن من انقراض محتوم.

(تدخل وداد من الباب الخلفي)

وداد: لقد توافد بعض الأصدقاء والحفلة على وشك الابتداء.

حلمي: وهل أتت هند؟

وداد: كلا فهند طريقها من هنا "مشيرة إلى الباب الأيسر"

صبحي: هيا بنا "يسمع الموسيقى في الخارج فيخرج إليها راقصًا"

رجاء: هيا بنا.

(يخرجون بينما وداد تتأخر لتصلح هندامها فتنظر إلى الخارج وإذا بهند)

المشهد الرابع

(تدخل هند تلوح عليها الكآبة)

وداد: هند

هند: صديقتي (تتصافحان)

سعاد: "تنادي من الخارج" وداد!

وداد: تعالي يا سعاد فهند قد أتت.

سعاد: "تدخل" أهلًا chérie هند لقد انتظرناك طويلًا فلماذا تأخرت؟

هند: كنت مسيرة لا مخيرة فأرجوا المعذرة.

وداد: ليتك أتيت قبل الآن بدقائق فسمعت الدروس الوطنية التي كان يلقيها علينا حلمي.

هند: وهل هو هنا؟

سعاد: نعم، وقد باع سيارته ليشترك بثمنها في شركة تدعى ....

وداد: شركة إنقاذ الأراضي، إن أطواره غريبة.

هند: "بعد صمت" كلا يا صديقتيّ لا تضحكا من أعمال حلمي،

فأمثالها تنيل بلادنا الحياة ويا ليت الكثيرين يحذون حذوه.

سعاد: ولعلك تريدين أن تتمثلي به.

هند: إني وإن كنت فقيرة الحال سأبيع بعض حليي وأشترك فيها.

(سعاد ووداد تضحكان)

سعاد: كفانا حديثًا من هذا الطراز ولنذهب نسر أنفسنا مع الأصدقاء

(يخرجن)

المشهد الخامس

(يدخل صبحي)

صبحي: "لنفسه" توخيت من إعلام خالي بما بين حلمي وهند إخماد النيران وإذا بها تتضاعف لهيبًا وتأججًا. أنا لا أميل إليها، فسعاد أقرب إلى قلبي منها، وهي الفتاة العصرية التي تفقه معنى المدينة وتراعي أصولها. ولكنها الغيرة الجامحة التي لا تهدأ ثورتها إلا متى كنت أول المقربين إلى جميع أفراد الجنس اللطيف. سأعاود الكرة مرة أخرى فلا يقال هزم أمام فتاة وقد كنت أبدًا سابقًا في هذا الميدان "يرى هند فيتوارى في الجانب الأيمن الأمامي"

هند: "تدخل من الباب الخلفي وتسير بتؤدة وهي تمر يدها على

حائط المسرح وتقول"

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

صبحي: "يفاجئها" هند! وهل في مقدوري أن أكون عونًا لك على ما تشكين منه؟

هند: أنت هنا؟ إني أطلب الخلوة.

صبحي: لقد عرفت أنك سوف تطلبين الخلوة كما هي عادتك في مثل هذه السهرات ولذلك سبقت إلى الاجتماع بك.

هند: "بجفاء" ماذا تبغي من الاجتماع بي؟

صبحي: لماذا هذا الجفاء يا هند؟

هند: بحقك اتركني وشأني، فأمثالي كثيرات!

صبحي: ألقي ستارًا على الماضي واعطفي عليّ وأنا أعدك بأن أخلص لك وأكون كما تشتهين.

هند: إنني وإياك يا صبحي على طرفي نقيض، وعبثًا تحاول أن

تخدعني، والآن إن كنت لا تريد أن تتركني فأنا أتركك.

"وتلوي عنه قصد الخروج فيستوقفها بالسؤال"

صبحي: أتركك يا هند، ولكن أعلميني قبل أن أذهب، هل أنجزت المعاملة التي أراد إتمامها خالي في هذا المساء؟

هند: وهل تعلم بالأمر؟

صبحي: أولًا تعلمين أن خالي يسر إليّ هذه الأمور؟

هند: أنت إذن شريكه في الخيانة والعار!

صبحي: بل هو افتخار، وقد استعجلته في إنجاز العمل لأقبض نصيبي منه.

هند: "محتدة" يا للآثم، ابتعد عني يا آثم "وتخرج فيقف مذعورًا"

المشهد السادس

(تدخل سعاد)

سعاد: أنت هنا يا صبحي؟

صبحي: Me chère[٥] سعاد

سعاد: إذن كنت في خلوة مع هند

صبحي: نعم فقد كنت أسألها عن بعض ما يتعلق بعملها

سعاد: صحيح؟

صبحي: وهل تشكين في ذلك؟!

(تنظر إليه نظرة عتاب)

صبحي: "يضيع يديه على كتفيها" إنك تحطين من قدري إذا تبادر

---

[٥] عزيزتي.

إلى ذهنك غير ما قلت وهل يعقل أنني أكترث لفتاة هي بعيدة عن التمدن والذوق والفن؟ خصوصًا وقد ملك هذا البدر عليّ كل مشاعري.

سعاد: "بدلال" إنك تهزأ بي.

صبحي: أنت ملاكي الذي لا أبغى سواه.

سعاد: أحقًا ما أسمع؟

صبحي: إذا كان ما بي بك فسنعيش سعيدين.

سعاد: أنا لك "تلقي برأسها على صدره"

صبحي: دعيني أطبع قبلة على جبينك عربون محبتي. هيا بنا نخرج لئلا يشعر الأصدقاء بتغيبنا

(يخرجان)

المشهد السابع

(يدخل حلمي وهند من الباب الخلفي)

حلمي: ألا تريدين يا هند أن تطلعيني على سبب كآبتك فإني أراك في هذا المساء متأوهة متحيرة كالثكلى، وقد لاحظ عليك ذلك كثيرون من الأصدقاء، ألا تقولين لي ما الذي يحزنك؟ "تبقى هند صامتة" قولي بحقك فأنا أتوجع لأحزانك.

هند: "بهدوء" لقد قضي الأمر.

حلمي: وأي أمر هذا؟ أوضحي؛ ما بالك تصرين على الكتمان.

هند: أخشى إيلامك.

حلمي: إن أشد ما يؤلمني هو عدم الوقوف على سر كآبتك.

هند: كفاك إلحاحًا أخبرك غدًا.

حلمي: تذكري يا هند أنه لم يمض ساعات على العهد الذي قطعناه

بالوفاء كل للآخر وهذا العهد يتطلب تشاركنا في الأفراح والأتراح. فهل تحنثين به؟!

هند: لقد قضى الأمر ولم أعد كاتبة عند أبيك.

حلمي: ماذا؟! وما الداعي لذلك؟

هند: الغيرة والإخلاص.

حلمي: إنك تتكلمين بالمعميات والألغاز، أفصحي بالله.

هند: والدك ...

حلمي: "يقاطعها بلهفة" ماذا حدث له؟

هند: إنه على أتم عافية، إنما هو على وشك ارتكاب جرم فظيع.

حلمي: جرم! ضد من؟

هند: جرم خيانة الوطن.

حلمي: وكيف؟ إن والدي وطني غيور!

هند: إنه يشتري أراضي من الفلاحين الذين حوله قصد نقلها إلى أيد غريبة.

حلمي: وهل أنت متيقنة مما تقولين؟!

هند: كل التيقن، وقد رفضت بتلويث يدي بكتابة المعاملة فافترقنا

حلمي: يا للفضيحة ويا للعار "يجلس على كرسي"

يُسدَل السِّتار

الفصل الثالث

في مكتب أبي حلمي

يكون ترتيبه ذات الترتيب المذكور في الفصل الأول ويزداد عليه كرسيان في صدر المسرح بجانب منضدة أبي حلمي

المشهد الأول

(أبو حلمي في مكتبه ينتظر زائريه، يطالع جريدة ثم ينظر إلى ساعته)

أبو حلمي: إن الميعاد قد أزف ولم يأت المختارون بعد، ترى ما الذي أخرهم؟ أيمكن أن يكون قد لعب في رؤوسهم بعض ذوي المطامع فبغض إليهم البيع؟ لقد كانت الأمور على أتم ما يرام حتى مساء الليلة الماضية ولا يعقل أن يتراجعوا عما عقدوا عليه النية بين عشية وضحاها.

ما للوساوس قد أخذت تتسرب إلى نفسي كأني مقدم على جرم فظيع، ألا أقوم ببعض الواجب الإنساني بعملي هذا؟

ألا أتوخى من ورائه رفع الفقر والبؤس عن كاهل هؤلاء المساكين؟ وما الذي يستفيدونه من أراضيهم، وحاصلاتهم لا تكاد تكفي لتسديد الرسوم ودفع فوائد الديون، على الأخص في هذه السنين التي توالى فيها القحط، سيستعيضون من الأرض مالًا ومن الفقر ثروة، أنا واسطة الخير فلتبتهج نفسي. لقد تأخروا وقد بكرت لاستقبالهم وإنهاء المعاملة قبل أن يشيع الخبر خشية أن يفسد عليّ تدبيري ... سمسار! ولماذا أدعى سمسارًا؟ وهل أنا البائع؟ كلا فسيبرم العقد بينهم وبين المشتري مباشرة وما أنا سوى موفق بينهما "يفكر ثم يقول بصوت خافت" خائن.

وهب أني دعيت خائنًا فما الذي يضرني إذا امتلأت خزائني بالمال. أفلا يكفي بعضها لإسكات الأبواق المزيفة، وعمل تافه في سبيل الغيرة الوطنية يعيد إليّ سابق عزي فأصبح

الزعيم المخلص!

إن الأمة كالفرد معرضة للنسيان، والرأي العام ينقلب

تقلب الحرباء. سأسير في طريقي إلى النهاية ولو ثار ثائر

ولدي حلمي علي، فأقبض على الدرهم صاحب السلطان.

(يدخل شاب يحمل بيده جريدة وتدل هيئته على أنه مراسل

جريدة فيستقبله أبو حلمي باحتفاء)

المشهد الثاني

أبو حلمي: أهلًا وسهلًا، لقد مضى زمن لم أرك فيه فكيف أنت؟

المراسل: "وهو يلهث" على أحسن حال.

أبو حلمي: أراك تلهث فتفضل استرح!

المراسل: "وهو يجلس" لقد أتيت مسرعًا لأستفهم عن حقيقة ما يجري على ألسنة الناس من أنك تساوم على أراضي قرية (المساكين) التي تملك قسمًا كبيراً منها.

أبو حلمي: وهل تعير عادة ما يجري على ألسنة العامة هذا الاهتمام؟

المراسل: تعلم يا سيدي أن الجريدة التي أتشرف بمراسلتها ساهرة على مصلحة الوطن، وهي أبدًا تسعى لاستقاء الأخبار من منابعها.

أبو حلمي: إنني أجل جريدتكم وأحترم صاحبها فتاريخها حافل بمواقفها المشرفة.

المراسل: ولذلك فقد أتيت مستفسرًا عن صحة ما يشاع؛ لأنقل الحقيقة بحذافيرها إلى القراء.

أبو حلمي: إنكم معشر الصحفيين قادة الرأي العام، تسيرونه كما تشاؤون وتنبهون الأمة على كل ما يهددها من الأخطار.

المراسل: لقد رغبنا في أن نستقي الحقيقة منكم خشية أن نكتب ما يكون فيه إساءة إلى سمعتكم الحسنة.

أبو حلمي: كله افتراء، كله كذب وبهتان، ألجم الله تلك الألسن التي تتطاول على أبناء الوطن المخلصين.

المراسل: لقد سمعت الخبر من مصدر أثق به فهل يمكن أن يكون في الأمر دسيسة؟

أبو حلمي: دسيسة كبيرة.

المراسل: ولكنك يا سيدي أكبر ملاك في تلك القرية فهل يساوم على شراء الأراضي بدون علمك؟

أبو حلمي: لقد سوومت عليها لكني رفضت ولن أبيع قيد شعرة من أرضي.

المراسل: ولقد علمنا أن ابن أختك صبحي على وشك البيع.

أبو حلمي: لست وصيًا على ابن أختي؛ ولذلك يصعب عليّ ردعه فهو مستقل ومستبد في رأيه.

المراسل: وهل الفلاحون راغبون في البيع؟

أبو حلمي: ربما كانوا مرغمين بسبب البؤس والفقر.

المراسل: إذن نكذب الخبر.

أبو حلمي: أجل كذبه وأنا المسؤول، فأملاكي في قرية (المساكين) لا تزال تحت تصرفي وستبقى كذلك إلى ما شاء الله.

"المراسل يكتب" اسمح لي فقد سهوت عن أن أسدد قيمة

اشتراكي عن هذه السنة فهل تحملونها إلى صديقي الأستاذ معكم الآن؟

المراسل: أحملها بكل طيبة خاطر.

أبو حلمي: "يناوله ورقة بخمسة جنيهات" أشكرك.

المراسل: عليّ أن أشكركم للطفكم وتنازلكم لمقابلتي أبقاكم الله عونًا لهذه البلاد، والآن أستأذنكم في الانصراف.

(يخرج)

أبو حلمي: إن هذا البوق وإن كان ضئيل الصوت فالأفضل أن يهتف لي لا ضدي.

المشهد الثالث

(قرع على الباب الأيمن وصوت ينادي "أبو حلمي")

أبو حلمي: هذا صوت أحد المختارين "يفتح الباب" أهلًا وسهلًا تفضلوا "يدخل رجلان أحدهما حسن الهندام هو الشيخ علي والآخر رث الهندام هو الشيخ محمد"

أبو حلمي: "يصافحها" كيف حالك يا شيخ علي أهلًا بالشيخ محمد وأين الشيخ حسن؟

علي: لقد أنابني عنه.

أبو حلمي: "وهو يشير إليهما أن يجلسا" لقد انتظرتكما طويلًا فهل عرجتما إلى المدينة قبل الإتيان إلى هنا؟

علي: كلا فقد أتينا توًا إلى هنا.

محمد: لقد أتيت عند طلوع نجمة الصبح ولكن الشيخ عليا كان لا يزال نائمًا فتأخرنا.

أبو حلمي: لقد أصبح الشيخ علي متمدنًا.

محمد: "يقلد" يا سيدي "يقهقهون"

أبو حلمي: "يخرج صندوقًا من الدخان ويقدم سيجارة إلى الشيخ علي وأخرى إلى الشيخ محمد" تفضل سيجارة مذهب.

محمد: أدخن (الهيشة) يا سيدي

أبو حلمي: إن شاء الله تصبحان قادرين على تدخين أجود أصناف الدخان منذ الآن.

علي: بصايتك يا بك.

أبو حلمي: لقد طلبتكما كي تتنازلا عن الأرض التي جرى الاتفاق الأولي بيني وبينكم على مشتراها وبعدئذ أسدد باقي الحساب.

علي: هذا واجب علينا، فنحن مستعدون أن نذهب معك إلى دائرة "الطابو" متى شئت.

أبو حلمي: ولكن قبل أن نذهب أريد أن أعلمكم أن التنازل سوف لا يكون لاسمي.

الاثنان: إذن لمن يكون؟

أبو حلمي: "يشير بيده تمهلًا" لقد كان غرضي حينما شرعت في مفاوضتكم على المشتري أن تكون لي ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد احتجت إلى مال نقدي فأرغمت على بيعها لغيري.

علي: فهل مثلك يحتاج إلى دراهم؟

أبو حلمي: إن اتساع دائرة أشغالي تتطلب المال النقدي

محمد: إذا كان المشتري الجديد أحد أقربائك فلا بأس.

أبو حلمي: "يهز رأسه علامة النفي" بل هو أحد أصدقائي وإنني

أرجو أن يعامل مزارعيها بالحسنى كما آمل أن تعاملوه بالرفق.

علي: إذا كان المشتري عربيًا فليكن من كان والإنسان لا يقسو على ابن جنسه مهما وصلت إليه حاله.

أبو حلمي: "يصمت ويطرق برأسه"

محمد: أوليس المشتري من أبناء جنسنا؟

أبو حلمي: وما الفرق بين أبناء جنسنا وغيرهم، ألا تكون تصرفات الإنسان هي مقياس صلاحه وطيبة عنصره مهما كان جنسه؟

علي: يتبادر إلى ذهني أن المشتري هو إسحق.

أبو حلمي: إن إسحق رجل طيب القلب.

(يصيحان كمن يفاجآن بشيء لم ينتظراه " له ")

محمد: "واضعًا يده على رأسه" وعملتها فينا يا أفندي

علي: "بحدة" إننا لن نتنازل عن أرضنا لرجل غير عربي ولو طبقت السماء على الأرض.

أبو حلمي: خفف من هذه الحدة يا شيخ علي.

علي: ماذا؟! أتريدنا أن نكون لعنة الأجيال القادمة فيقال ساعدوا غير أبناء جنسهم على استيطان البلاد. أتريدنا أن نكون خونة مارقين على الوطن؟

أبو حلمي: ليس في الأمر خيانة فأنتم لم تبيعوا إلا عن حاجة ثم إن ابن أختي سيبيع كل ما يملك.

محمد: "متألمًا" سيطردوننا منها طرد الكلاب.

أبو حلمي: لقد بعتم بثمن عال ولذلك تستطيعون شراء غيرها في مكان آخر حيث لا تزال الأسعار معتدلة.

علي: وهل تعتقد أننا سندخر ما نقبضه أو سيدخر غيرنا من رجالنا

البائعين ما يقبضونه فلن يتبقى معهم من الثمن سوى القليل!

أبو حلمي: إنني لن أبيع ما أملك، وإن فرضنا المستحيل وطردتم من الأرض فأنا أتعهد لكم بأن أجعل أرضي وقفًا عليكم تستغلونها مدى الحياة.

محمد: هذا كلام يا أفندي

علي: لا تخدعنا فتهون لنا الصعاب فإننا حالما نتنازل لمن تريد نكتب على أنفسنا الشقاء الأبدي فنصبح من متشردي الآفاق.

أبو حلمي: إن هذا العناء لن يأتي بنتيجة، إذ إن البند الخامس من العقد ينص على أن البائعين عليهم أن يتنازلوا للمشتري أو لمن يريده؛ ولذلك فلا مناص من الخضوع لما أريد.

محمد: إنك بعملك هذا تصمنا بوصمة عار أبدية يسهل الموت

دونه

أبو حلمي: أما أجرة أتعابكما فستكون أكثر بكثير مما ترجوان وسأدفعها لكما حالما يجري التنازل.

محمد: لا تغوينا بالدراهم يا سيدي

علي: لا تتعب نفسك فلن نفعل ما تريد "ينهض كمن يريد أن يخرج"

أبو حلمي: "يتقدم نحو الشيخ علي" كلمة يا شيخ علي

علي: لا فائدة من الكلام.

أبو حلمي: أطعني وتعال معي "يخرجان من الباب الأيسر"

محمد: "يناجي نفسه" تبًا لك يا زمان فإدبارك أكثر من إقبالك، غدرت بي فأحييتني كي أكون في آخر العمر مرذولًا تعسًا. وهل تصفو لي الحياة ويطيب لدي العيش بعد مفارقتي الأرض، أرضي التي ورثتها عن والدي ووالدي عن جدي، أرضي التي قضيت في تعهدها زمن الحداثة وأذويت فيها زهرة الشباب فشهدت شيبتي. كانت أملي في الحياة، عزائي في الآلام وسلواي في الوحدة، كانت ذكرى

الماضين من أهلي وغاية الآتين من صلبي ... إن حفنة من ترابها لأحب إلى نفسي من كل ذهب الدنيا.

(هنا يدخل طفل هو ابن الشيخ محمد مسرعًا ويصيح "يابا ")

محمد: "يابا" ... أنت جئت وأمك جاءت؟

الطفل: هي في الخارج مع الباقي. "يابا"أنا جائع أريد أن آكل

محمد: "يضمه إلى صدره ثم يرفع عينيه إلى السماء" يا رب ارحم عبدك وأشفق عليه.

(يدخل أبو حلمي والشيخ علي)

أبو حلمي: "للشيخ علي" ستصبح إن شاء الله مثريًا، والأمل أن تقنع محمدا فيصبح كذلك.

علي: توكل على الله "يتقدمان إلى مكانهما السابق"

الطفل: "مخاطبًا أباه" يابا " قلت لك أنا جائع.

أبو حلمي: "يسمع الطفل فيتناول من جيبه قطعة نقود بخمسة غروش" خذ يا شاطر واشتر ما تحتاج إليه

(يتناول الطفل القطعة ويخرج مسرعًا)

علي: يا شيخ محمد إننا لا نستطيع أن نخالف القانون فالأفضل أن ننهي هذه المسألة.

أبو حلمي: وأنت يا شيخ محمد إن تمكنت من الاحتفاظ بأرضك هذه السنة فلن تستطيع الاحتفاظ بها في العام المقبل لشدة حاجتك إلى الدراهم.

محمد: ما باليد ولا حيلة.

(يقرع الباب ويدخل إسحق)

المشهد الرابع

أبو حلمي: أهلًا وسهلًا لقد أتيت في الوقت المناسب.

إسحق: هل أتممت المعاملات جميعها؟

أبو حلمي: لم يبق سوى التنازل، وهذان هما الوكيلان.

إسحق: "يخاطبهما" إن شاء الله نكون جيرانًا طيبين.

علي: إن شاء الله.

إسحق: أرضكم ليست مليحة كثيراً وثمنها غال.

محمد: "محتدًا" أرضنا أحسن أرض في هذه البلاد

أبو حلمي: هل أتى معكما أصحاب الأراضي الذين لم يوكلوكما؟

علي: كلهم هنا والأفضل أن نخرج فنعرفهم بجلية الأمر وسنلتقي في الوقت المعين.

(ينصرفان)

إسحق: برافو نجحت.

أبو حلمي: كل النجاح.

إسحق: وما رأيك بقطعة الأرض التي تملكها أنت؟

أبو حلمي: لا أرغب في بيعها الآن.

إسحق: أزيدك جنيهًا في كل دونم.

أبو حلمي: لا تجعل شيطان الطمع يغويني.

إسحق: جنيهين؟!

أبو حلمي: قلت لك لا أرغب في بيعها.

إسحق: هذه فرصة قد لا تسنح لك مرة أخرى فأطعني.

أبو حلمي: كلا.

إسحق: كلمتي الأخيرة هي أن أضاعف لك الثمن لمعاملتك الشريفة وأملي ألا تردني خائبًا.

أبو حلمي: "تنبسط أسارير وجهه" أبيعك على شرط.

إسحق: ما هو؟

أبو حلمي: هو أن تبقي المزارعين في الأرض ستة أشهر على الأقل.

إسحق: هذا أمر بسيط والأرجح أن أبقيهم أكثر من سنة.

أبو حلمي: بعتك.

إسحق: إذن دعنا نذهب لإتمام المعاملة.

أبو حلمي: أريد أن أنهي بعض المهام وسنلتقي بعد ساعة.

(ينصرف إسحق)

أبو حلمي: "لنفسه" الآن أستطيع أن أقول لنفسي اهنئي فقد أصبحت من أثرى أثرياء هذه البلاد "يتقدم نحو منضدة الكاتبة ليفحص بعض المعاملات"

حلمي: "يدخل مسرعًا" أصحيح ما يشاع عنك يا أبتاه؟

أبو حلمي: وما الذي يشاع عني يا ولدي؟

حلمي: إنك قد بعت أرض (المساكين)

أبو حلمي: ومن أين علمت بذلك؟!

حلمي: علمت به من هند وسمعت ألسنة الناس تلوكه وقد رأيت الآن إسحق خارجًا من هنا فتحققت الخبر.

أبو حلمي: إنني يا ولدي أسعى لخيرك.

حلمي: إنني أرفض كل خير يأتيني عن طريق خيانة وطني.

أبو حلمي: ليست هذه خيانة يا ولدي، إن هي متاجرة وليس في الاتجار عار.

حلمي: "يتقدم من أبيه" أبت أتوسل إليك أن تبقى لي الوالد البار الذي يفخر بوطنيته فترتد عن فعلتك.

أبو حلمي: كن بصيراً واعلم أن حب الوطن لا يجديك متى كنت خالي الوفاض.

حلمي: إنني أكون سعيدًا في تعاستي متى كان وطني مرفوع الرأس مرفوع الكرامة.

أبو حلمي: إنك يا بني لا تزال غرَا جاهلًا.

حلمي: إن النفع من عملك وقتي وأما الضرر فأبدي.

أبو حلمي: "باستخفاف" ومتى كان الأبن مرشدًا لأبيه؟

حلمي: متى كان الوالد يرى خيانة بلاده مبرة.

أبو حلمي: لقد أصبحت وقحًا قليل الحياء "يتجه نحو الباب الأيمن ويفتحه" اخرج ولا ترني وجهك بعد اليوم

حلمي: "يتمهل قليلًا ثم يتقدم نحو الباب ثم ينظر إلى والده ويقول" في سبيلك يا وطن.

(يسدل الستار)

الفصل الرابع

(غرفة الاستقبال في بيت هند)

في الجانب الأيمن من المسرح مقعد وبجانبه من الداخل طاولة مرتفعة قليلًا على سطحها ساعة ورسم حلمي، وبجانب الرسم مزهرية، ويكون أسفل الطاولة بشكل خزانة يحفظ في داخلها قنينة مملوءة عصير البرتقال أو خلافه، وما يتطلب من آنية لشربه. ثم طاولة صغيرة في الجانب الأيسر وثلاثة كراسٍ موزعة في أرضه. وللمسرح باب واحد في طرفه من الجانب الأيسر وبجانب الباب من الداخل نافذة صغيرة. أما الأثاث يجب أن يكون بسيطًا للغاية.

المشهد الأول

(يرفع الستار عن هند وهي تنسق الزهور أمام رسم حبيبها وهي تنظر إلى الساعة بين آونة وأخرى)

هند: لقد أزف الميعاد ولم يأت بعد فما باله قد تأخر؟

"تنظر إلى الخارج فتهز رأسها علامة النفي؛ ثم تعود

وتجلس على المقعد وتخرج من جيبها رسالة تقلبها بين

يديها ثم تفضها وتتأملها مليًا ثم تعاود قراءتها"

حبيبتي هند؛ من بين جميع الرسائل التي ترد إلي على كثرتها أستطيع أن أعرف رسالتك حالما تلقى أمامي، ولا عجب في ذلك فهي تحمل من عبير روحك وشذا إخلاصك ما يميزها من غيرها ويجذبني إليها.

إنها روحه!

"لا شك أنك تسرين إذا علمت أن دعاية الشركة قد صادفت نجاحًا عظيمًا فكثيرون من أغنياء البلاد والأقطار المجاورة قد أقبلوا على المساهمة فيها، والفلاحون والملاكون الراغبون في البيع يرضون أن يبيعوا الشركة بأثمان أقل من التي يعرضها عليهم غيرنا ولذلك فقد أسقط في يد هؤلاء جزاء تهكمهم على الشركة لما كانت في دور التكوين"

قوى الله هذه العزائم وأنالها ما تبتغي.

"بشراك فإني آتي صباح اليوم الخامس عشر من هذا الشهر الحالي لقضاء بعض الأعمال فأتزود من مرآك ما يجدد قواي ويضاعف جهودي، وسيصحبني في زيارتي هذه الصديق البار حسن الذي

يواصل السعي ليل نهار في سبيل إنجاح مهمتنا، ويغلب على ظني أننا نكون عندك الساعة العاشرة من صباح اليوم المذكور"

"تضعها في جيبها وهي تتنهد"

أف ما أصعب الانتظار!

"تسمع قرعًا على الباب فتسرع وتقول" بشراك يا قلبي

المشهد الثاني

(يدخل حسن)

هند: حسن! وأين حلمي؟ (تظهر على وجهها علامات الوجوم)

حسن: "لنفسه" لم أشأ أن آتي منفردًا

هند: أولم يأت معك؟

حسن: بل هو في المدينة الآن.

هند: ولِمَ لم يأت.

حسن: لا تضطربي يا سيدتي فعما قليل يكون هنا.

هند: "بحياء" لا تلمني أيها الصديق على لجاجتي في السؤال عنه فقد خشيت حالما رأيتك منفردًا أن يكون قد تخلف عن الحضور.

حسن: "مبتسمًا" كيف ألومك؟ وهذا ما قدرت أن أراه منك وهل يعد التكرار في السؤال عن حلمي لجاجة؟ كلا يا سيدتي فهو جدير بكل هذا الاهتمام.

هند: "تمد يدها مصافحة" ولقد نسيت في اضطرابي هذا أن أصافح أبر الأصدقاء وأوفاهم عهدًا فاعذرني، وتعال نجلس كي نتجاذب أطراف الحديث "يجلس حسن بينما ترجع هند فتنظر إلى النافذة بدافع طبيعي"

حسن: سوف يتأخر قليلًا

هند: "ترجع وتقول بخجل" ولماذا لم يأت إلى هنا أولًا فيستريح قليلًا؟

حسن: بينما كنا في طريقنا إلى هنا اعترضه صديق وتنحى به جانبًا وبعد أن تحادثا قليلًا طلب أن أسبقه إليك لأن أمرًا ما يضطره إلى التأخير.

هند: لا ريب أن ذلك الأمر يتعلق بعمله "وتبتدئ في تحضير الشراب"

حسن: لو كان شيء من ذلك لأعلمني به لأنه حينما سألته عن السبب الذي يستدعي هذا التأخير لم يشأ أن يجيب بل وعد أن يبذل جهده في الإسراع، ولثقتي بحنكته ودرايته لم أشأ أن ألح عليه في السؤال.

هند: وهل تقيمان هنا طويلًا؟ "وتقدم الشراب"

حسن: لا أدري فذلك يتوقف على توفقه في إنجاز المهمة التي أتى من أجلها.

هند: وهل لهذه المهمة علاقة بأعمال الشركة أو هي لمقابلة والده؟

حسن: إن علاقتها بأعمال الشركة شديدة، ولكن لا أدري إذا كانت مقابلة أبيه أحد فروعها لأنه لم يصارحني بكل شيء، وإنما أعلم أن أصحاب أرض (المساكين) جادون في إجلاء المزارعين عنها.

هند: "بحزن" إنه لجرم فظيع، أولا يؤنب المجرم ضميره.

حسن: لم أرَ أبا حلمي منذ اعتزلت خدمته معك وآثرت مرافقة ابنه حلمي ولكنني أعلم أنه كثيراً ما يكتب إلى ولده يطلعه على شدة رغبته في أن يعيده إلى حظيرته.

هند: وبماذا كان يجيب؟

حسن: إنه كما تعلمين قويم المبدأ لا يوارب في الحق ولو خالفه الجميع فقد أعلم والده أنه لن يعود إليه، إلا إذا كفر عن خطيئته وأحسن إلى من أساء إليهم بما يمحو أثر تلك الإساءة فهو مصر على الابتعاد ولكنه مع ذلك بار بأبيه فقد رأيته مرات عديدة يقرأ الرسائل التي ترده منه والدموع تترقرق في مآقيه ويقول: ليتك يا أبت تعفيني من حرقة الخزي وألم الفراق.

هند: آه ما أقسى الفراق وأمره!

حسن: لا يؤلمه فراق والده وأهله فحسب!

هند: تبًا للدهر ما أشد جوره وأكثر مخادعته فهو لا يكاد يجمع شمل الأهل والأحبة حتى يفرقهم أيدي سبأ ويشقيهم في هذا التشتيت.

حسن: ولماذا نلصق كل اللوم بالدهر والإنسان "ناظرًا إليها" يشاركه أحيانًا في تعسفه ويجاريه في أحكامه.

هند: لا يشاركه أو يجاريه إلا اضطرارًا

حسن: وأي اضطرار هذا الذي يحول دون ارتباطك بحلمي برباط الزواج، وقد جمع الحب بين قلبيكما. آه إن ذلك اليوم لهو غايتي في الحياة "تطرق هند برأسها وتتنهد ولا تجيب".

لماذا لا تجيبين يا سيدتي

ألا ترين أنك تجارين الزمان في قسوته وتقيدين نفسك بأحكام واهية؟

هند: كلا يا حسن، إن شدة إخلاصي لحلمي تمنعني من إجابة طلبه الآن، فأنا لا أريد أن أصبح حجر عثرة في سبيله فتعرقل مساعيه من أجلي، أن والده يكره أن يراني زوجة لابنه ولذلك أخشى أن يستحكم النفور بينهما ويشتد غضب الوالد فيتمادى في غوايته، ويقف ماله وقواه على مشاكسة ولده ومحاربة الشركة فأكون النقمة بدل النعمة والشؤم بدل التوفيق، كلا يا صديقي فسأقوى على ضعفي إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

حسن: ولكن ربما أتى ذلك على خلاف ما تتوهمين فينزل الوالد عند رغبة ابنه متى لمس مثالًا عمليًا على إصرار ولده وثباته على مبدئه.

هند: إنك لا تقول ذلك إلا ترغيباً لي، أنت أعلم مني بطبيعة الرجال وأعرف مني بالرجل وما صلابة الابن وعناده إلا من قوة شكيمة الأب وشدة مراسه. أولا يستحيل الحب الأبوي إذا طال عهد النفور إلى المقت والتشفي بالمقاومة والاثئار؟

(يقرع الباب فتهب هند من مكانها ويقف حسن)

المشهد الثالث

(يدخل رجاء)

هند: ظنناك حلمي.

رجاء: "يصافحها" لقد علمت أنه وصل إلى المدينة ولذلك أتيت مسرعًا في طلبه.

حسن: أجل إنه في المدينة وعما قريب يأتي.

رجاء: ولعله قصد المكان الذي اتيت لأصطحبه إليه.

هند: وأي مكان تعنين يا رجاء؟

رجاء: لقد خطر لي حالما علمت بقدوم حلمي أن ننتهز فرصة وجوده هنا ونشترك في نصح صبحي وإرجاعه عن غيه.

هند: "وهي تحضر الشراب" وهل من طارئ جديد؟

رجاء: إن حياتهما — هو وسعاد — لمجموعة طوارئ متسلسلة الحلقات فلا يكاد يمضي يوم دون حدث جديد.

(تقدم هند الشراب لرجاء)

حسن: لقد ظننت، حينما رأيتهما في الأسبوع الأول من عهد زواجهما سعيدين هانئين، إنهما سيعيشان عيشة راضية لما شاهدته آنذاك من تفاني سعاد في الحرص على سلامة زوجها. ولقد دهشت لما علمت من حلمي أن النفور قد أخذ يتسرب إلى قلبيهما.

هند: لم يتسرب النفور إلا إلى قلبه ولكنها قابلت المثل بالمثل ظنًا منها أنها ترده بذلك إلى جادة الصواب.

حسن: وهل مضى على حالهما هذه زمن طويل؟

هند: لم يدم وئامهما أكثر من شهر وقد مضى على زواجهما ما ينيف على العام. وقد أخبرتني سعاد أنها في أثناء تجوالها في أوروبا أم صبحي ذات ليلة ناديًا للرقص ولم يصطحبها معه ولما عاد إليها بعد منتصف الليل وهي تنتظره أنتبه على فعلته فكانت تلك هي الشرارة الأولى.

رجاء: ومنذ ذلك الحين وكل منهما في طريقه فلا يكادان يتصافيان حتى يتشاجرا ويأتي كل منهما أمرًا يغيظ الآخر، وهو سائر في طريق التبذير والإسراف.

حسن: وهل يرجى خير وسعادة لبيت اتفق ركناه على أن يقاوم الواحد منهما الآخر، أوما كان يجدر بأحدهما أن ينزل قليلًا من علياء كبريائه ويسوس الآخر بحكمة ودراية حرصًا على سعادة البيت. إنني ألوم سعاد لأن المرأة أطول أناة وأقدر اصطناعًا للحيل من الرجل فكان يجدر بها أن

تكون الطبيبة لزوجها.

هند: لقد نصحتها مراراً ولكنها كانت تسخر مني لاعتقادها أن المدينة تحتم عليها مجاراة صبحي في أعماله ومحاربته بنفس السلاح الذي يستعمله، وصبحي هو الذي لا يرى سيئات التفرنج إلا حسنات.

رجاء: ولكني أراها لا تجد سلوى إلا في القرب منك.

هند: نعم وذلك بعد أن رأت أعمالها لا تزيد صبحي إلا تمادياً في غوايته. وقد أخذت أخيراً تعض أصابع الندم لعدم الانتصاح بنصيحتي ولكن لات ساعة مندم فقد نفذ السهم وأصبحت عاداته متأصله فيه ولم يبق له من ماله سوى القليل.

رجاء: ولقد صار عصبي المزاج تغضبه أتفه الأمور فلا تراه اليوم حتى تظهر لك الكآبة بأوضح معانيها. قابلته بالأمس فوجدته بائسًا ينعى الحياة وأهلها.

(يدخل حلمي شاحب اللون كئيبًا فتتقدم هند نحوه مسرعة فيصافحها ببرودة)

المشهد الرابع

هند: لقد طال علينا تأخرك

حلمي: "يجيل نظره في الغرفة فيرى رجاء" أنت هنا يا رجاء

"يصافحه ثم يرتكز خلف كرسي في صدر المسرح"

هند: هل أنت متعب؟

حلمي: لست تعبَا أيتها العزيزة.

حسن: أراك مغتم النفس على خلاف ما كنت عليه في هذا الصباح فهل هنالك ما يعرقل سير الأعمال.

حلمي: "لنفسه" هذه عاقبة التفرنج المزيف. فليسامحك الله.

هند: يظهر لي أنك تخفي عنا أمرَا جسيمًا.

رجاء: وهل عرجت في طريقك على بيت ابن عمتك صبحي؟

حلمي: بل لحقت به إلى المستشفى.

كلهم: وماذا حدث له؟

حلمي: أصيب بعيار ناري

هند: يا لهول الفاجعة! "تتراجع إلى الوراء"

رجاء: ومن أطلق عليه؟

حلمي: يده الأثيمة "هند تجلس"

حسن: تعمدًا؟

حلمي: هكذا سمعت

رجاء: وهل ...؟

حلمي: "يقاطعه" بل لا يزال على قيد الحياة

هند: وهل رأيت سعاد؟

حلمي: رأيتها مشعثة الشعر تذرف دمع العين بجانب زوجها المسكين.

هند: وهل كلمتك؟

حلمي: حالما رأتني أقبلت نحوي وقبضت على يدي واقتادتني إليه وهي تسألني، هل يعيش؟ ألا يشفى؟

رجاء: وهل عرفك؟

حلمي: نظر إليّ نظرة حزينة ثم قبض على يدي ويد سعاد.

حسن: ألم يتكلم معك؟

حلمي: فتح فاه بمشقة ثم قال بصوت خافت لا يكاد يسمع "سر في طريقك"

هند: وسعاد؟

حلمي: ثم أدار وجهه نحو سعاد وقبل يدها وقال لها "سامحيني"

هند: مسكينة سعاد، لعلها لا تفارق سريره.

حلمي: عندما رغب الطبيب إلينا في الخروج من الغرفة كي يجري له العملية أبت أن تذعن للأمر.

رجاء: وهل سمح لها أن تبقى؟

حلمي: رجوت منها أن ترافقني إلى هنا فرفضت وهي تبكي بكاء مرا وبعد عناء وجهد أخرجها بعض صديقاتها إلى ردهة الانتظار وقد تركتها وهي في نوبة عصبية شديدة.

حسن: وكيف أقدم صبحي على فعلة شنعاء كهذه؟

حلمي: إذا عميت بصيرة المرء صغرت الدنيا في عينيه وقلت قيمة الحياة لديه.

رجاء: إنها لنتيجة محتومة لتلك الحياة التي كان يحياها: شراب وميسر وبطالة وتبذير وإسراف.

حلمي: لم يتعود العمل في حياته قط سامحه الله كم هزئ مني حينما ابتدأت أشتغل بمرتب ضئيل.

حسن: عسى ذلك يكون عبرة له في المستقبل.

حلمي: إذا شفي.

رجاء: وهل حياته في خطر؟

حلمي: كل الخطر.

هند: لأذهبن وأواسي صديقتي "وتبتدئ تجهز نفسها قصد الخروج"

المشهد الخامس

(تدخل سعاد راكضة وعليها علائم الحزن الشديد، تقف قليلًا بينما يدهش الجميع، ثم تبكي وهي تقول "هند" وتركض نحو هند فتضمها هذه إليها)

هند: حبيبتي ..."ثم تسير بها هند إلى المقعد فترتمي عليه وهي تبكي بكاء مرا"

سعاد: ارحموه يا أصدقاء، ارحموه ولا تلوموه.

حلمي: هدئي من روعك

هند: أشفقي على نفسك.

رجاء: "ويكون قد ذهب إلى طرف المسرح الأيسر" كفاك يا سعاد

سعاد: "تصمت فجأة ثم ترفع رأسها وتنظر إلى رجاء، ثم تقف وتسير نحوه وهي تقول" صبحي! أتيت "ولكنها لا تكاد تصل أوسط المسرح حتى تثوب إلى رشدها وتقول منتحبة" لكن صبحي مات، مات، مات "وتقع على الأرض وهي تبكي وتنتحب فيقترب منها هند وحلمي ويسدل الستار".

الفصل الخامس

(غرفة استقبال في بيت أبي حلمي ولها مدخل يشكل غرفة صغيرة، وتقطع هذه من الجانب الأيمن من المسرح إزاء باب في طرف الحائط الأيمن ويكون في الغرفة منضدة عليها أدوات كتابية في الزاوية اليسرى وأمامها كرسي كبير متجه إلى اليمين وفي صدرها رف للكتب وبجانب الرف من الجهة اليمنى مقعد. ويكون باقي الأثاث من النوع الذي يكسب جو الغرفة مسحة من الكآبة. وللمسرح باب آخر في طرف الجانب الأيسر)

المشهد الأول

(يرفع الستار عن أبي حلمي وهو جالس إلى منضدته بثوب الحداد وخادمه يرتب رف الكتب. وفي المدخل فلاح رث الثياب وهو الشيخ محمد وامرأته جالسة على الأرض)

الفلاح: هذا هو البيت، قومي يا امرأة دعينا ندخل عليه.

المرأة: والله إنني غير قادرة على الحركة. ادخل عليه وحدك.

الفلاح: إن الذي مكنك من المشي خمس ساعات يمكنك المشي خطوتين. واثنان أفضل من واحد.

المرأة: وأين كانت عقولكم عندما بعتم أراضيكم؟

الفلاح: وهل بعنا عن سعة يا امرأة. فهو الفقر الذي أجبرنا على ذلك.

المرأة: وهل مليح الآن طردهم إيانا من بيوتنا ورمي حوائجنا خارجها وهتك حرمتنا. ذهب النسور ولم يخلفوا سوى المخنثين.

الفلاح: لا تزيدي جروح القلب. وهل كنا قادرين على غير ذلك؟ أف منك يا هذه الدنيا. صرت تمشي بالشقلوب.

(ينزعج أبو حلمي فيشير إلى الخادم كي يخرج إليهما فيخرج إليهما)

المشهد الثَّاني

الخادم: ماذا تريدان هنا؟

الفلاح: نريد مواجهة الأفندي.

الخادم: وماذا تريدان منه؟

الفلاح: نريد أن نتكلم معه.

الخادم: إن الافندي مشغول.

الفلاح: ادخل من فضلك وأخبره أن هنالك من يرغب في مواجهته.

الخادم: لا أظن الأفندي يرغب في مشاهدة مثل هذه الهيئات.

الفلاح: إن الافندي هو السبب في جعل هيئاتنا كما ترى.

الخادم: ماذا تعني بقولك هذا؟

الفلاح: نحن من قرية (المساكين) طردونا قهراً من الأرض التي كنا نفلحها.

الخادم: "محتدًا" وما هي علاقة الأفندي بذلك؟

الفلاح: "محتدًا أيضًا" كيف تسأل يا رجل عن علاقته؟ أليس هو الذي باع أراضينا؟ أليس هو السبب في ويلاتنا ومصائبنا وتشتيت شملنا؟ من فضلك ألا تزيد الكلام بل ادخل وأخبره أننا نريد مواجهته وسنبقى هنا ليل نهار حتى نراه.

(يسمع أبو حلمي الضجة فيخرج إليهم)

أبو حلمي: "مخاطبًا الخادم" ما هذه الضجة التي أسمعها؟

الفلاح: وعملتها فينا يا أفندي

أبو حلمي: خيراً إن شاء الله يا محمد، ماذا حدث؟

الفلاح: كأنه ما معك خبر، خنتنا يا أفندي

أبو حلمي: ما الذي تقوله، هل أنت مجنون؟

المرأة: إذا جن فليس ذلك عليه بكثير.

الفلاح: إنني سليم العقل وأعرف ماذا أقول.

أبو حلمي: أنا لا أزال جاهلًا ما تعنيه

المرأة: لو رأيت ثيابنا وحوائجنا ملقاة خارج البيوت لفهمت حينئذ ماذا يعني.

الفلاح: لما بعناك الأرض وأنت بدورك بعتها لغيرك وعدت أن تبقينا نزرع ونفلح الأرض مدى الحياة وقد وثقنا بما قلت ولكن ...

أبو حلمي: وهل أخرجوكم من الأرض؟

الفلاح: ساقونا كما تساق الأغنام.

أبو حلمي: كلكم؟

الفلاح: "وهو يبكي" كلنا يا أفندي، كلنا، الطفل، والولد، والشيخ طردونا من أرض ابائنا وأجدادنا، أخرجونا من بيوتنا سامحك الله يا أفندي.

(يدخل فلاح ثان بثياب رثة)

المشهد الرابع

فلاح ثان: أرضي، أرضي، ذهبت من بين يدي يا أفندي ذهبت.

أبو حلمي: يا للمصيبة!

فلاح ثان: بيعني بسوق الدلالة واشتريها يا أفندي

أبو حلمي: "يضرب على رأسه ويجلس على الكرسي الكبير"

المرأة: دبرنا يا أفندي صرنا بلا مأوى.

الفلاح: ارحم من أخلصوا لك طوال هذه السنين.

فلاح ثان: من فضلك يا أفندي خذ روحي وأرجعها لأولادي قبل أن يفوت الأوان.

أبو حلمي: وما الذي أستطيع أن أفعله؟

"ينتفض الفلاحان وتقف المرأة ويقولون" أرجع لنا أرضنا الآن.

أبو حلمي: اخرجوا من هنا "مشيراً للخادم" أخرجهم ولا ترني وجوههم

(يخرجهم الخادم قهراً)

الفلاح: آه يا خائن

المرأة: لا يوجد عندك شرف ولا ناموس.

فلاح ثان: آه يا مرائي يا قليل الذوق

(يخرجون)

أبو حلمي: "يقف رافعًا عينه إلى السماء" هل هذا هو العزاء يا إلهي؟ أفي الوقت الذي أفجع فيه بصبحي تزداد مصائبي، وبدلًا من أن يرجع إلى ولدي ترسل إليّ من يهيج في تأنيب ضميري. آه رحماك ربي "يجلس ويضع رأسه بين يديه"

المشهد الخامس

(يدخل حلمي من الباب الأيمن ويقف في طرف المسرح وينظر إلى أبيه)

حلمي: هل تستعيد في ذاكرتك ما جنته يداك.

أبو حلمي: "يرفع رأسه فيرى ولده ويثب نحوه وهو يقول" ولدي حلمي تعال إلي.

حلمي: "يبتعد إلى الناحية الأخرى من المسرح" لست بولدك إلا إذا كفرت عن بعض ما اقترفت.

أبو حلمي: "بحنان" ألا تزال عنيدًا؟ ألم تخفف رسائلي إليك من حدتك؟ ألم تلن قلبك حرقة الفراق؟ ألا تعزي والدك وترثي لبلواه؟

حلمي: "يقترب من والده" أبتاه "ولا يكادان يقتربان حتى يتراجع حلمي إلى الوراء" كلا، كلا، يجب أن تكفر عن ذنبك أولًا.

أبو حلمي: وما هو ذنبي يا ولدي؟

حلمي: ألم يأتك أصدقاؤك القدماء؟ ألم تر بؤسهم وتشهد شقاءهم؟ أصدقاؤك الذين غدرت بهم فحرمتهم من أرضهم وتراث أجدادهم.

أبو حلمي: كان بمرضاتهم يا ولدي "يرجع ويجلس على كرسيه"

حلمي: ألم تحنث بعهدك لهم وقد وعدتهم أن يبقوا مزارعين في أرضك؟ أفلا تشعر بوخز الضمير وقد أصبحوا بسببك مشتتين لا أرض لهم ولا مأوى يهيمون على وجوههم ولا من يرثي لحالهم أو يرق لبلواهم، شيوخهم وأطفالهم ونساؤهم، وكل ذلك لأجل الجشع الإنساني؟

أبو حلمي: وما الذي أستطيع أن أفعله؟ فقد سبق السيف العذل.

حلمي: بل تستطيع أن ترجع إليهم سابق طمأنينتهم وهنائهم، فسعادتهم بين يديك.

أبو حلمي: وكيف؟

حلمي: بأن تخرج من خزائنك ذلك الدينار الممقوت وتشتري لهم أرضًا يقطنوها فتعود إليهم الصديق المخلص الأمين.

أبو حلمي: رأيك وبال علي يا ولدي، كلا، لن أفرط بمالي الذي أفنيت العمر في جمعه بعرق الجبين.

حلمي: فكر، ألا تجد جشعك هذا هو أصل مصائبك؟ تذكر صبحي.

أبو حلمي: "يقف ويسير تجاه المقعد حتى وسط المسرح وهو يقول" لا تذكرني به فعمله جنوني.

حلمي: "ويكون قد سار وراء أبيه قليلًا" ولكن ألا يوجد هنا من ساعده على ارتكاب المنكر ضد نفسه؟

أبو حلمي: حماقته وطيشه.

حلمي: ألم يكن توافر المال هو الذي قاده إلى طيشه؟ أولا يكون الذي هيأ له سبيل المال مشجعًا له على فعلته؟

أبو حلمي: اصمت، كفاني تألمًا "ويلقي بنفسه على المقعد"

حلمي: "متقدمًا قليلًا" إن دمه المهراق ليهيب بك أن أعتبر.

أبو حلمي: آه "بصوت عال واضعًا رأسه بين يديه"

حلمي: أبت، انس ما مضى وابدأ حياة جديدةظح حياة إخلاص

وتضحية ففي ميدان التضحية متسع للجميع.

(يرفع أبو حلمي رأسه وينظر إلى ولده)

حلمي: أطعني يا أبتاه إكرامًا لابنك إن كنت تحبه.

المشهد السادس

(تدخل سعاد وهي في ثياب الحداد وحاملة زهوراً. منفوشة الشعر كالمجنونة ومعها هند وحسن ويكون دخولهم من الباب الأيمن)

سعاد: ألبسوه بذلة الزفاف، وواروه في التراب، نثروا على ضريحه الزهور.

أبو حلمي: "يقف" سعاد!

هند: اشتدت بها النوبة وأصرت على المجيء إلى هنا فرافقناها.

سعاد: دفنوه، دفنوه، نثروا على قبره الزهور "وتنثر زهوراً على الأرض ثم تتقدم نحو حلمي" هذه زهرة لك "ثم لهند" هذه زهرة لك "ثم لأبي حلمي" أما أنت "مشيرة إليه بزهرة ولكن لا تعطيه إياها"

أبو حلمي: إلهي! هل يخبئ لي القدر أكثر من هذه المصائب؟

حلمي: دعها في غيبوبتها تكن رسولة سلام.

سعاد: لا تقل صبحي مات فهو في قلبي حي

يا لها من ساعة ترجع الماضي إلي

(تخرج سعاد من الباب الأيسر وتتبعها هند)

أبو حلمي: اتركيها تدخل وحدها يا هند وتريثي "تتأخر هند"

(يذهب أبو حلمي إلى منضدته ويجلس يكتب)

حلمي: "إلى هند" وهل هذه حالها؟

هند: أجل فلا تكاد تهدأ قليلًا حتى يثور ثائرها وهي تردد اسمه

فآنًا تتخيله حيا وطوراً تثوب إلى الحقيقة ومسلكها

يختلف باختلاف هذه الحالات فإما قهقهة وسرور وإما

كآبة وبكاء.

(يدخل الفلاح الأول مسرعًا ويجثو أمام حلمي)

الفلاح: فيك رجاؤنا، ساعدنا واشفع بنا عند أبيك.

حلمي: انهض يا صديقي.

الفلاح: ذهبت أرضنا، أرجعها لنا يا سيدي عمر الله بيتك ومد في عمرك.

حلمي: لا تخف يا صديقي فسأبذل كل ما في وسعي وأرجع لك أرضك أو عوضًا عنها.

الفلاح: "يقبض على يد حلمي لكي يقبلها فيمنعه حلمي من ذلك" لا تخيب أملنا وتتركنا من غير أرض.

حلمي: انتظرني خارجًا وأنا آتيك عما قليل وأرى ما أستطيع عمله.

الفلاح: أمرك مطاع، وأرجو ألا تطيل أمد الانتظار علينا.

(يخرج ويشيعه حلمي إلى الباب)

أبو حلمي: "بعد انتهائه من الكتابة وهو جالس" مات صبحي، جنت سعاد، هجرني ولدي، أسأت إلى وطني وأصدقائي، تركني خادمي الأمين، تمردت عليّ ابنة صديقي، أصبحت

وحيدًا يتمشى الحنان الوالدي في داخلي، ويبريني الشوق

وفلذة كبدي بعيد عني لا يشتاق إلي ولا يعطف علي.

فقدت راحة الضمير ابتعدت عني حياة الهدوء والهناء

التي تقوم على الحب والإخلاص والتضحية، وكل هذا لأجل استمتاع مادي وقتي سوله لي الجشع الإنساني. سامحني اللهم. فسأكفر عن مآثمي فأنطرح في أحضان ابني فهو أعرف مني بضروب التكفير. "يقف وهو يشير إلى ورقة بيده" أكتبها بكل طيبة خاطر وسأسجلها حالًا فلا تغرب شمس هذا اليوم إلا عن خاطئ يتوب. اسمع يا ولدي واشهدا يا صديقي "يقرأ"

"أنا كريم سليم الملقب بأبي حلمي بمحض إرادتي ومجرد اختياري وأنا في كامل صحتي وتمام حالتي العقلية أتنازل لابني حلمي عن جميع ما أملك ليتصرف فيه كما يشاء دون معارض"

حلمي: أبت! "ويقبل يد والده بينما يقبله والده"

أبو حلمي: "يشير إلى هند بالإتيان إليه فتنفر منه حياء فيرجعها إليه حسن فتتقدم نحوه حتى يمسك يدها ويضمها إلى يد ولده وفي خلال ذلك يقول لحسن" إلي بالفلاحين "فيناديهم حسن وعندما يدخلون يخاطبهم حلمي قائلًا"

حلمي: اطمئنوا يا أصدقائي فسأهتم بكم وأسكنكم حالًا "فيدعو الفلاحون بالأدعية الصالحه له"

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان

رقمنة

مشروع النشر الرقمي